**الممارسات: مشكلة تقسيم العمل الثقافي**

**فيليكس غونزاليس-توريس**

أمر بسيط أود أن أشير إليه قبل البدء بقراءة هذه الورقة. إن تعريف فيليكس غونزاليس-توريس كفنان يجب أن يأخذ بعين الاعتبار حقيقة أنني أشاهد التلفزيون. إذا كان علي أن أكتب ورقة أو أحضر لتقديم ما أو إذا ما شعرت بفتور بالإلهام أو إحباط من أي نوع، ابحث في المعجم عن معنى كلمة أو كلمات. وكتمرين معتاد، هذا التصرف البسيط في الظاهر هو دائماً طريقة للمقاومة بالنسبة لي: أقرأ معنى الكلمة، والطرق المختلفة لاستعمالها، والكلمات التي تسبقها أو تأتي بعدها. تمرين المعجم هذا يتعلق بشكل وثيق بالموضوع الذي نتحدث عنه هنا الليلة: «الممارسات: مشكلة تقسيم العمل الثقافي.»[1]

المعجم كتاب غير سياسي وظيفته الوحيدة والبريئة هي أن يُستخدم كمرجع، وكمصدر دقيق وحيادي للمعلومات. هذا الكتاب، ذو التعريفات والقوانين والمعاني «البسيطة»، يبدو أنه يكشف دائماً عن إجماع عام: علاقات عامة يبدو أننا نعيشها جميعا عن طريق الخطأ. هذا الكتاب غير متعلق بأي كتاب أدبي، وغير ذي علاقة مع كتبنا وغير ذي علاقة مع السلطة. أليس هذا صحيحاً؟

هذا التقسيم، وهذه المسافة، هما مثل تقسيم العمل. مثل التقسيم بين الخاص والعام، وبين النسوية والحد الأدنى لأُجور المرأة، وبين أزمة الإيدز وجمعية الطب الأميركية، أو الإدخار وكفالة إنقاذ مالية[2] القروض ومحاججة الصندوق الوطني للفنون NEA.[3] هو انقسام يخدم غرضاً محدداً بدقة وهو، إضافة إلى أمور أخرى، يشوش. يبطل مفعول أي صياغة معنى، أي علاقات، ومن الممكن أيضاً أي فعل. ولكن مهلاً، ما معنى كلمة «Dictionary» [معجم] في المعجم نفسه؟ وفقا لمعجم ميريام ويبستر لعام 1974، وهو المعجم الذي أمتلكه، التعريف هو ما يلي: «كتاب مرجعي يحتوي على كلمات، عادة بترتيب أبجدي، مع معلومات حول أشكال الكلمات ولفظها واستعمالاتها وأصولها ومعانيها واستخداماتها النحوية والاصطلاحية.» لكن وفقاً لمن؟ ومتى ولماذا؟ من هو المحرر أو من هم؟ هل هم ذكور أم إناث؟ من كان مستشارهم في المحتوى، وما هو تاريخ ذلك المعجم؟ هل كانت القواميس دائما جزءاً من حياتنا؟ هل المعجم فعل آخر من أفعال الرب؟ من صنع أول معجم ولماذا – لماذا احتاج إليه؟ هل لتعريف لغة قومية – أمة؟ لخلق قاعدة يمكن مقارنة التعبيرات الجديدة بها – أو أنه ببساطة حدث؟ استيقظنا ذات يوم وكان، ها هو... المعجم؟

في الثقافة، كل شيء يحدث وقت الحاجة إليه، على الرغم من ذلك يمكننا أن نعرّف هذه الحاجة عن طريق أشياء وأفكار حتى لو كانت موجودة مسبقا، يمكن تكريس هذه الأشياء في حال شعر المجتمع أن توقيت وجودها كان مناسباً: حينها تصير ما هي عليه. إن تقسيم العمل، مثل الفصل الرسمي بين الخدمة العامة والحياة الخاصة، هي عَقد اجتماعي نتفق عليه. أو أن نضعها بطريقة تُشعرني أكثر بالرضى، هو انقسام بحيث نُجبَر على الإيمان به لنتمكن من إعادة إنتاج قوانين الإنتاج، وفي النهاية لنتمكن من إعادة إنتاج هذه الأشكال من المنتجات والمستهلكات التي تُبقي السياق قائما. ونعم قريبا سأقتبس من لوي ألتوسير.[4]

ولكن لنعود الآن للمعجم البريء: المليء بالقيم القديمة الفاضلة. دعنا نجد المعلومة الصحيحة عن كلمة «practice» [ممارسة] (مرة أخرى وفقا لمعجم ويبستر): «الممارسة: الأداء أو العمل بشكل متكرر حتى البراعة؛ أن ينفذ؛ أن يطبق؛ أن يفعل أو يؤدي عادة ما؛ أن يشارك مهنيا في ممارسة عمل ما؛ عمل مهني.» دعنا نتركها كذلك حاليا.

للحظة، دعنا نطرح السؤال الأساسي الذي نحاول أن نناقشه في هذه المحاضرة الليلة. السؤال الذي وضعه محرر دورية Acme على المحاضرين:

> يمكن أن تأخذوا بعين الاعتبار كيف يمكن لأنواع معينة من الإنتاج الفني أن تبني وتتيح طرقا محددة من المداخلات النقدية. مثلاً، نقد المعايير التاريخية، بناء الأيديولوجيات الجمالية، تحليل الأيديولوجيات السياسية الإجتماعية، تشفير أو فك تشفير تمثيلات الهوية الجندرية أو العرقية، وهلم جراً، والذي من شأنه بالتأكيد أن يذهب بعيداً إلى ما بعد الحدود الحالية للنقد الفني. إذا كان للفن أن يكون شكلاً من النقد الثقافي، هل يمكن لهذه المهمة أن تكون متاحة أيضاً للخطاب

---

[1] تقسيم العمل Division of labour، يقصد به أن يقسم إنتاج السلعة الواحدة إلى عدد من المراحل. وهو شكل معاصر من أشكال تنظيم الإنتاج الصناعي.

[2] أزمة الادخار والقروض في الثمانينيات والتسعينيات (التي يطلق عليها عادة أزمة S & L)

[3] المنحة الوطنية للفنون The National Endowment for the Arts (NEA)، تمنح من قبل الحكومة الأمريكية.

[4] لوي بيير ألتوسير Louis Pierre Althusser، فيلسوف فرنسي ماركسي. ولد في أكتوبر 1918 وتوفي في 22 أكتوبر 1990.

النقدي الفني؟ زد على ذلك، هل من الممكن أن يؤدي ظهور الفن الناشط وصاحب القضية «فن المقاومة» الى فتح باب النقد الفني لذلك النوع من الفنون؟

إن هذه الأسئلة تمهد أو تشرع ظهور نوع محدد من الإجابات – ليس مجرد أي إجابة. أود هنا أن أعيد صياغة السؤال، وبعض معاني الكلمات، وبالتالي الإجابة أو الإجابات. بداية، يجب نشر بعض الفخاخ الأيديولوجية. لنعرف كلمة «أيديولوجيا» باستخدام نص سياسي ككل معجم، نص ألتوسير. تعريفه للأيديولوجيا كالتالي: «الأيديولوجية هي تمثيل لعلاقة مُتَخَيَلة بين الفرد وظروف الوجود الحقيقية». أود أيضاً أن أعبر عن دهشتي من كيفية ظهور الفن الناشط.[5] كان الفن دائماً مقاوماً. لكنه كان ذلك يعتمد على من الذي يتوجه إليه ويخدمه وحسب. أكان أولئك الذين يودون العودة إلى الأيام الخوالي لصوت الرجل الأبيض الكلاسيكي السويّ،[6] أو هؤلاء منا الذين يهتمون أكثر بقليل -إن صح القول- باللون والملمس. أتمنى حقيقة أن هذا السؤال لا يُشير فقط الى ذلك النوع من الفن الذي يهتم بالضمّ عوضاً عن الإقصاء – النوع من الفنون الذي يعني نفسه في إعطاء المساحة لأصوات عدة لكي تُسمع ويكون لها قيمة؛ نوع من الفن معني بجعل هذا المكان سياقاً أفضل لمجموعة أكبر. أعتقد أننا نستطيع أن نطلق على الفن تسمية ناشط. لكن لنبقى حذرين مع التسميات، ومن الذي يقوم بها، وأين ومتى. دعونا لا نجعلها سهلة جداً على المعارضة أن تُعَرّفنا وتُحَلّلنا بسرعة وسهولة، وأن تُصَنّفنا كأنها تفرق بين أبيض وأسود، أو مثل هوليوود: الأشرار مقابل الأخيار. وليس علينا أيضاً بأي حال من الأحوال أن نترك من تعريف الفن الناشط Activist Art مضمونه من الإنتاج الفني، ذلك الإنتاج الفني الذي له تأثيره الأيديولوجي الأكثر نجاحاً لأنه يقُدّم لنا كأنه الأمر الاعتيادي، القاعدة، الفن باسمه الشامل: الفن يهتم فقط بالفن، بالمعجم الخامل للفن، بالتعبيرات التقليدية للفن الجيد. هذا المنتج الفني بعينه ينشط في خدمة أجندة سياسية أخرى قد لا تماثل أجندتنا، ولكنها أجندة بالتأكيد. دعوني أضرب مثلاً قد يساعد على قشع هذه الضبابية، ويعيد تعريف وتسمية ما تم تقديمه لنا بطريقة محرّفة: الآلية الكامنة التي عادة ما نُؤخذ بها.

في 26 أيلول 1989 – وعليّ أن أضع هذا التاريخ في سياقه، كونه وقع قبل مناظرة المنحة الوطنية للفنون NEA، وحين كان الإتحاد السوفياتي ما زال عدواً مفيداً – تلقيت رسالة من مؤسسة بولوك-كراسنير Pollock-Krasner Foundation. كنت قد تلقيت منحة زمالة منهم في عام 1989، وجاءت الرسالة تبلغني وغيري من متلقي المنح عن أي الفنون تهتم بها الحكومة الأمريكية. سأقرأ مقتطفات من الرسالة: «إذا تم قبول عملك الفني، سيكون لك الخيار في أن تعير أو تتبرع بعملك بالتعاون مع وزارة الخارجية. قد لا تهمك هذه الفرصة، لكني أود أن ألفت نظرك إلى هذه الإمكانية. مودتي، نائب الرئيس التنفيذي،» الخ.

تضمنت هذه الرسالة أيضاً ورقة بيان من برامج الفن في السفارات من قبل وزارة الخارجية الأميركية تتضمن التالي: «الفن شكل قوي من أشكال العملات الدولية. يروج الفن للتفاهم بين الشعوب ذات الخلفيات الثقافية المتنوعة. قال جورج برنارد شو مرة، "إلى جانب التعذيب، الفن هو أعظم طريقة للإقناع."» هكذا كانت الوثيقة - أنا لم اختلقها، جاءت بالبريد من وزارة الخارجية، وهي ليست كما تعلمون، مزيفة. بالمناسبة لم أكن على علم من قبل أن وزارة الخارجية أضحت هذه الأيام أكثر اهتماماً بالفن من التعذيب. تكمل المذكرة:

> «... الفن مُؤَيَد حول العالم من خلال برامج الفن في السفارات،» ويستمر في القول «يتم اختيار مجموعات الأعمال الفنية أو كثير من المعارض الفنية وفقاً لثيمة رئيسية للعمل أو لتضيء على طريقة عمل أو موضوع أو فترة زمنية محددة. على كل عمل فني أن تتوافر فيه المعايير التالية: (أ) على العمل الفني أن يكون أصيلاً ومن صنع فنان أمريكي. (ب) على العمل الفني أن يتحلى بنوعية معترف بها حتى يمثل الثقافة الأميركية. (جـ) على العمل الفني أن يكون متوافقاً مع الثقافة والمفاهيم والقيم في البلد المضيف. د) على العمل الفني أن يكمّل الهندسة والتصميم الداخلي في مباني السفارة.

في حال لم يفهم الفنان المخاطب ما مرجو منه، تضمنت الرسالة أيضاً مقالاً من مجلة أخبار الفن Art News، توضح ما هو برنامجهم، مع صورة مذيلة بتوضيح: «لوحة لفرانس كلاين Franz Kline، تعد واحدة من عدة أعمال فنية تزين غرفة في سباسو هاوس Spaso House، منزل السفير الأمريكي في موسكو. كذلك استخدمت نوعيات أخرى من اللوحات الفنية استقدمت من متاحف مختلفة وشركات ومجموعات خاصة مختلفة من أعمال الملهمين من مثل ميلتون أفري Milton Avery وفرانك ستيلا Frank Stella وإلزوورث كيلي Ellsworth Kelly.» من المبهر كيف لم يشملوا هيلين فرانكنتالر Helen Frankenthaler هنا. من الواضح أن هذا النوع من الفن يستخدم هنا لهدف مفعّل جدا، والذي يمكن ترجمته كفن «ناشط» في سبيل أجندة اليمين المحافظ في الحزب الجمهوري.

كما يمكن أن يعلم بعضكم، كان النقد الفني أول الفئات المستبعدة من التمويل من قبل المنحات الوطنية لدعم الفنون NEA قبل عدة سنوات. وهذه لم تكن حادثة أو خطأ. إن نوع النقد الفني الذي لم يتوافق مع معدة حراس ثقافة اليمين، هو نوع الثقافة، دعنا نقول، الذي يعيد صياغة

---

[5] ترجمة لمصطلح Activist art التي تستخدم لوصف الفن الذي يقوم أو يعمل على مواضيع سياسية وإجتماعية، مثلما نقول فن المقاومة أو فن النضال.
[6] الترجمة لـ Straight male بمعنى الرجل الذي يفضل النساء كشريك جنسي، على العكس من من يفضلون أشخاص من نفس هويتهم الجنسية.

العمل الفني ضمن القضايا والمؤثرات السياسية الإجتماعية. فجأة توقفت عن الحديث عن الإلهام الناتج عن «التمشية في الغابة» [Walk in the Woods] لأنها فهمت أن من المستحيل في هذه اللحظة التاريخية - أن نعيش في عزلة، ولا حتى الفنان في مرسمه. إن النوع الجديد من النقد الفني، ينشط حالياً في اتجاه مختلف، لقد كسر المرآة التي كانت تعكس صورتنا وصورة العمل الفني، وبدون علاقة مع التاريخ، أو الأحداث، أو المواضيع والمؤسسات التي تعارض وتؤثر على تفكيرنا وحياتنا - حتى أكثر لحظاتنا حميمية.

لنسجل هنا أن هذا النقد الفني الجديد كان عموماً من قبل النساء، ومن قبل بضع شبان شجعان، وأنهم تمكنوا من تضمينه بعض الدلالات الجندرية والجنسية مع إهتمامات اخرى خلف إنتاجات فنية محددة. في السابق، على ما أعتقد، كان يتم حذف هذه المواضيع في عملية الطباعة عن طريق الخطأ، بدون شك! وهو تحديدًا لأن عدداً محدداً من الفنانين كان يفضل أن لا يتم ذكرهم، لأنه ورغم كل شيء، وفي خدمة تقسيم العمل، يُتَوَقع من الفنانين أن يعملوا عملاً محدداً جداً - كأن ينتجوا عملاً يتلائم مع ديكورات السفارة مثلاً. نشكر الله أنه لا زال لدينا «آباءنا الموجهون» [Defending Fathers] ليكشفوا لنا الحقيقة. فقط انظر إلى التليفزيون، وتفقد الدعايات السياسية –كل ما نحتاج معرفته موجود هناك. ممارسات السيطرة من قبل الدولة، ليس فقط من خلال طرق القمع لجهاز الدولة مثل الجيش، والشرطة، والسجون (بالمناسبة، نحن في الولايات المتحدة لدينا أكثر عدد من السجون بين الدول الصناعية)– ولكن عبر الجهاز الأيديولوجي للدولة–مثل الكنيسة والعائلة والإعلام ومؤخراً التجسيد– من خلال نقاشات المنحة الوطنية للفنون NEA. إن نقاش الـ NEA ليس نقاشاً حقيقياً، بل هو مجموعة مواقف خطابية حول حرية الوصول إلى المعلومات، والتعديل الأول لما يسمى بحرية التعبير [Free Speech ]– الذي لم يكن يوماً مجانياً [Free] فعليك أن تدفع للحصول عليه. إنه عن خطاب الرجل الأبيض المستقيم – أو عن القيم الكلاسيكية. لم يُكتب الدستور من قبل أمهات سود عازبات، أو عمال مصانع أثناء ثلاثة أيام من العمل في مكان ما من شيكاغو. كلا، لقد كُتب من قبل رجال بيض أحرار لهم أملاك وألقاب – ما اسميهم «الآخر».

إذاً، إذا تم دعوتك، أو دُعيت مجدداً، للإدعاء بأن هناك حرية، فقط تذكر بعض الأشياء إذا كنت ممن ينتجون الثقافة. أولاً، لا تتصرف «كفنان» بل قم بإفشال تقسيم العمل بكل قوتك، ولا تتكلم عن أهمية هذا الأمر «لذاتك الخلاقة» أو أن تمسح جسدك كاملاً بالخراء كتعبير مجازي. كلا، بدل ذلك أخبر الجمهور – العائلة الأميركية – أنه ربما علينا أن نوجه أنفسنا الى أكثر من 500$ مليون من عربدة الحكومة في دعم الادخار والقروض من فترة الثمانينات ( لكل دولار واحد صرف على البرامج الإجتماعية، نصرف اليوم ستة دولارات كفائدة على القروض. إذا، هذه لم تعد دولة الرفاه بل دولة القروض والفوائد.) أفشل تقسيم العمل واقرأ – بدون أدنى تردد الأرقام والإحصائيات عن ازدياد حالات موت الأطفال الرضّع والحالات الجديدة من مرضى السُل وقطع التمويل عن برنامج الغذاء للأمهات الحوامل والرضع والأطفال، من قبل من يُفترض أنهم الحكومة المساندة للعائلة والبيئة والتعليم.

نعم يجب علينا في الحقيقة أن نُفشل تقسيم العمل ودورك فيه – الانقسامات والقوانين عن كيف يجب عليك أن تبدو، وكيف تتصرف، أو الأشياء التي يجب عليك فعلها إذا كنت فناناً. لا تعطيهم ما يتوقعونه منك. أعد تأطير مصطلحات الحوار. قم بعمل علاقات بين الأشياء. أسس للأولويات. من خلال أخذ المبادرة في مواضيع مثل الإسكان، والصحة، وحقوق الأشخاص الغيريين،[7] وحقوق المرأة، والبيئة، والتغطية على الحكومة (والعديد من العديد من الأفعال الغير مألوفة)، نحن الفنانين، و النقاد، ومؤرخي الفنون نمهد في الواقع إلى تقسيم العمل الثقافي، وربما بهذه الطريقة، يتوجب علينا أن نضع في المقدمة أجندتنا الخاصة. ربما بهذه الطريقة سيكون صوتنا المعارض أكثر تعقيداً –وأقل سهولة للكشف والتصنيف. صوت ليس فقط أكثر تنوعاً وتنافساً, ولكن أيضا يتسرب ليزعج السياق المتوقع. في النهاية سيكون هذا الصوت الحقيقي الذي يحاول التحرر من خلال المعنى وإعادة التسمية، وإعادة الترتيب وفقا لحاجاتنا نحن.

Practices: The Problem of Division of cultural Labor, by Felix Gonzalez-Torres

قدم هذا النص في الأصل ككلمة ضمن فعاليات Sites of Criticism: A Symposium في The Drawing Center نيويورك. في 10 آذار 1992. نشر النص في دورية Acme Journal، المجلد الأول العدد الثاني، 1992، الصفحات 44-49.

ترجمه إلى العربية رائد إبراهيم.

[7] حقوق الأشخاص الغيريين Queer Rights